



بمناسبة صوم السيدة العذراء مريم

أم النور والدة الإله أيقونة الحياة الجديدة

دكتور

جورج حبيب بياوي

٢٠١٥

بمناسبة صوم العذراء مريم

أم النور والدة الإله أيقونة الحياة الجديدة

يسميه شعبنا في صعيد مصر صوم الـ ١٥ يوم، وفي قريتنا الكوم الأخضر - مغاغة، يصوم معنا المسلمون تكريماً واحتراماً .. ويأتي الصوم كل عام "ونهضة العذراء" تصبح الشغل الشاغل للآباء الكهنة وغالبية الشعب لا سيما في الكنائس التي بُنيت تكريماً لها، أو كما نقول: "على اسمها". وترتفع نبرة الفتاوى حول طريقة الصوم، ولكن في قريتنا كانوا وربما لا زالوا يصومون على الماء والملح والخبز فقط، فهي ١٥ يوماً لا غير.

الأساس اللاهوتي والتقوى الشعبية:

أتشفع بك يا أم النور من أوهام التقوى الشعبية، وشفاعتك هي حضورك المتأله المجيد كعضو في جسد المسيح الكنيسة، نقدّم له البخور في "دورات البخور"، وأمام الأيقونة للملكة التي تجلس "على يمين الملك" في وليمة الإفخارستيا كشاهد حقيقي على تجسد ابن الله من امرأة (غلا ٤: ٤ - ٦)؛ لأنك الشاهد على تحررنا من الولادة البيولوجية من آدم الأول.

"تأنس لكي يؤهنا في ذاته وولد من امرأة عذراء لكي ينقل إلى كيانه جنسنا العاصي لكي نصبح جنساً مقدساً وشركاء الطبيعة الإلهية كما كتب بطرس المبارك" (القدّيس أناسيوس الرسولي، الرسالة إلى أدلفوس ٤ - راجع أيضاً ضد الأريوسيين ٣: ٣٣).

"عندما نقف في هيكلك المقدس، فنحن مثل الواقفين في السماء"، لقد دخلنا الحياة الجديدة، ولذلك نصلي: "يا والدة الإله أنت هي باب السماء. افتحي لنا باب

الرحمة". والعبارات يعرفها من ذاق حلاوة التجسد، فقد جاء الابن ليس كفكرة، ولا في كتاب، بل في اللحم والدم "تجسد وتأنس"، ودعانا إلى الوليمة السماوية التي يجلس هو فيها ملكاً وعن يمينه الملكة، ولكن قبل الدخول إلى الوليمة ندخل من باب السماء، أي بواسطة تجسد ابن الله الذي دخل إلينا متجسداً لكي تفتح لنا تلك التي ولدته باب الرحمة، أي لكي يكون شركة حقيقية في المتجسد لأجلنا؛ لأن الطلبة خاصة بالساعة الثالثة، وهي عودتنا إلى شركتنا في الروح القدس، فقد سبق هذه الكلمات أشهر طلبة في كل الكنائس الأرثوذكسية: "أيها الملك السمائي المعزي روح الحق الحاضر في كل مكان والمالئ الكل ... هلم تفضل وحل فينا وطهرنا **Ϡωπι Παιτην** والحلول فينا يعني "طهرنا من كل دنس أيها الصالح وخلص نفوسنا".

تطرف أصحاب المذهب الإنجيلي له وقع شديد الوطأة على آذان البسطاء، فقد فصلوا أم النور عن الرب يسوع نفسه، ولذلك يقف يسوع وحده ويتحول الوعي، لا في الحقيقة، إلى فكرة. كما أن الذين يتطرفون من الأرثوذكس يفضلون أم النور عن الرب والمخلص لأنهم خطاة لا يستحقون، ولكن الحقيقة الإلهية الثابتة هي:

- الرأس

- والأعضاء.

رأس الجسد الواحد والأعضاء الذين نالوا تكريماً إلهياً وتألهاها بالوجود في "سحابة الشهود" (عب ١٢ : ١)، وسحابة الشهود هم الذين دخلوا سحابة تجلي رب المجد ربنا يسوع المسيح في مجده الذي استعلن على جبل طابور، والذي دخله الذين عاشوا معه وله، أي سحابة الروح القدس، تلك التي نراها سرياً عندما يخرج الكاهن بالشورية قبل قراءة الانجيل ليقول:

+ مبارك الآتي باسم الرب (وهو قبول موكب ابن الله).

+ فلنسمح الرب لأنه بالجد قد تمجد (تسبحة عبور الشعب بعد هلاك فرعون،

وهي ترنيمة الانتصار).

هذا الزخم الوافر يضعنا في قلب وليمة الملكوت، ولذلك جاء لحن "افرحي يا مريم .."، وكان رداً على بدعة نسطور، ولكنه كان يعبر عن حضور الشاهد الحقيقي

أمُّ النور الكرمة الحقيقية التي ولدت يسوع الكرمة الحقيقية. والكرمة واحدة، وهي الانتماء الحقيقي للجنس البشري الواحد، فلا توجد كرمة اسمها مريم، وأخرى اسمها يسوع، بل كرمة واحدة رأسها يسوع وكل عضو هو جسد يسوع؛ لأن يسوع لا ينقسم، وكل غصن في الكرمة هو كرمة، فقد نمت كرمة مارجرجس ومارمينا والعظيم أنطونيوس والرسولي أناسيوس، ولم تمت كرمة الكبير خاتم الآباء كيرلس الأول عمود الدين ... لا تقسيم، ولا طبقات عليا وأخرى سفلى؛ لأن الجسد واحد، ومكان كل عضو لا يزاخمه فيه عضوٌ آخر، ولا توجد والدة إله إلا مريم أمُّ النور، ولكن لا درجات في ملكوت ربنا يسوع، ولا في تجسده؛ لأن مَنْ غسل أرجل التلاميذ - وهي جزء في جسم الانسان يحمل قدر الأرض - في ذلك الزمان، أحبنا ووهبنا حياته.

الشهادة للرحمة والمحبة:

الشهادة ليس مجرد كلمة تُقال، فهذا هو مستوى الأنبياء، ولكن مستوى التجسد هو استعلان الحق في اللحم والدم: "الذي كان في البدء الذي سمعناه الذي رأيناه بعيوننا الذي شاهدناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة" (١ يو ١: ١). جاءت الحياة، وفيها جاءت الكلمة التي تشهد لها؛ لأن الرسول كتب: "فإن الحياة أُظهرت وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأُظهرت لنا" (١ يو ١: ٢).

نحن ندخل الوليمة من باب الرحمة الذي فُتح بتجسد الابن، وهو باب الطبيعة الإنسانية التي احتوت ما لا يمكن احتوائه، وهو رحم البتول. وعندما تسيح الكنيسة الأرثوذكسية نعمة الحياة الجديدة، وتقول عن أمُّ النور: "لأن بطنك صارت أرحب من السموات"،

فالمقارنة هنا ليست مقارنة كم بكم، بل الكلام هنا عن اتساع عمل النعمة الذي جعل الابن يتجسد، فصارت رحابة بطن البتول أوسع من السموات؛ لأن السموات لا تقاس بالطول والعرض والارتفاع، ولكن السماء كانت مثل المرأة العاقر

(غلاطية ٤ : ٢٧)؛ لأنها لم تلد أحداً، ولم يدخلها أحد حتى جاء عمانوئيل ووُلد من امرأة، فصرنا جميعاً أولاد الحرة أورشليم العليا حيث تمت فيها ولادتنا الجديدة.

لـ

+ "السلامُ لكِ يا أمَّ النور الشاهد على ولادتنا الجديدة؛ لأن الذي وُلد منك بلا زرع بشر، فتح رحم الروح لنولد من فوق".

+ "السلامُ لكِ يا شاهدة على مجد الخليقة الجديدة الآتية من عند الآب؛ لأن المولود قبل كل الدهور وُلد منك لكي يحررنا من الولادة الآدمية بالميلاد الجديد".

+ "السلامُ لكِ يا هيكل الحياة الجديدة، والبطن الذي وكَد لنا الحق؛ لأن الذي تجسّد منك جعلنا هيكل الروح الذي حلَّ عليك ليسكن فينا روح الحق".

+ "السلامُ لكِ يا أمَّ الحياة؛ لأن الحي والحَيي وُلد منك لكي يعطي لنا شركة في حياته. أخذ منك الناسوت وحوّله إلى مكان استعلان الحياة، وهيكل الحياة الجديدة".

+ "السلامُ لكِ يا شفيعة الكنيسة؛ لأن أعضاء جسد ابنك الذي ولدته هم موضع محبتك واهتمامك؛ لأنك أرضعت ابنك لكي ينمو ويصير رأساً للجسد".

+ "أنت الملكة الحقيقية؛ لأن كل الملوك قد زالت كراسيهم، أمّا أنت الجالسة عن يمين الملك، فتملكين مُلكاً سماوياً حقيقياً لا يزول، وتصلين لأجلنا لكي ننال ذات المجد الذي وهبَ لك".

د. جورج حبيب بباوي